حسين حاجي إبراهيم تيكاييف – رئيس قسم اللغة العربية وأدآبها

ومدير مركز دراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية بكلية الدراسات الشرقية

في جامعة داغستان الحكومية (روسيا الإتحادية)

حول الاستثمار في اللغة العربية في داغستان (روسيا الإتحادية)

الهدف الرئيسي لهذا البحث هو دراسة مشكلة الاستثمار في اللغة العربية كما هو الحال في روسيا ككل، وفي داغستان، على وجه الخصوص. وقبل كل شيء، دعونا ننظر في المشكلة على نطاق عالمي. اليوم، من حيث النمو والشعبية على الانترنت تحتل اللغة العربية المرتبة الثامنة فقط. كما ذكرت شركة جوجل – تشكل المواد باللغة العربية 3٪ فقط من المحتوى على شبكة الإنترنت كله. هناك فجوة كبيرة بين عدد الناس الذين يتكلمون باللغة العربية، وكمية المحتويات المتوفرة على شبكة الإنترنت. واستمر الوضع في التدهور – إحتلت المواد باللغة العربية في السنة الماضية المرتبة السابعة. وهذا على الرغم من حقيقة أن في العالم هناك نحو 630 مليون ناطق بالعربية (1). حتى اصبح تلقي المعلومات بشكل رئيسي في اللغة الإنجليزية، وهي اللغة الأكثر استخداما منذ ظهور الإنترنت. كما يشير الخبراء – كمية كبيرة من المعلومات باللغة العربية ببساطة ليست متوفرة على شبكة الإنترنت. الشعوب العربية لديها تراث وتاريخ غني، وبطبيعة الحال، ليس كل شيء على شبكة الإنترنت، وحتى العديد من المتاحة في المحافل مغلقة أو غائبة عن محركات البحث. وقد اصبح من الضرورى انشاء محتوى عربي على الانترنت. اليوم يمكن أن يبدأ العمل مع برنامج الشراكة الخاصة القائمة بالفعل لإنشاء المحتوى العربي على خدمة يوتيوب التي تملكها غوغل.

عانت اللغة العربية على مدى عقود من إهمال بسبب الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عاشها العالم العربي، إلا انه ومع نهاية القرن الماضي بدأت الحاجة ملحة إلى الاستثمار فيها بعد إدراك أهمية ذلك وضرورته في عملية التواصل مع العالم الخارجي من ناحية والحفاظ على التراث الحضاري والثقافي العربي وكذا الهوية القومية من ناحية أخرى. ومن هنا بدا التفكير في إنشاء مؤسسات خاصة تعنى بهذا الأمر وتوجيه استثمارات وتمويلات وتحديد مخصصات في موازنات بعض الدول العربية خصيصا لهذا الأمر ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر كل من جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ودولة الكويت وغيرها.

وهناك العديد من المسارات التي تم إتباعها في هذا الاتجاه ومنها إنشاء مراكز لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من مختلف بلدان العالم وخاصة الدول الإسلامية المستقلة حديثا والدول الإفريقية والدول التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي السابق بعد عام 1991م.

وقد شهد العقدين الأخيرين حالة من التوسع في إنشاء هذه المراكز وتخصيص المزيد من الاعتماد والأموال لتطويرها وخاصة في المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية. ثم تطور الأمر إلى أن تحولت هذه المراكز الصغيرة إلى أقسام علمية أكاديمية مستقلة كما هو الحال في بعض الكليات بالجامعات المصرية ثم وصل الأمر إلى تأسيس معاهد مستقلة للغة العربية للأجانب وهي التجربة الرائدة في المملكة العربية السعودية والتي شهدت افتتاح عدد كبير من هذه المعاهد في مختلف الجامعات السعودية. وابرز هذه المعاهد معهد اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وكذلك كمعهد اللغة العربية بجامعة الملك سعود بالرياض. وهناك مسار آخر يتعلق بإرسال المعلمين العرب لتدريس اللغة العربية في البلدان الأخرى وقد نشط في هذا الإطار صندوق الدعم الفني لدول الكومنولث والدول المستقلة حديثا والتابع لوزارة الخارجية المصرية منذ عام 1993 وحتى الآن. ومسار ثالث يتمثل في إنشاء مراكز ومؤسسات تعليمية بالخارج يكون هدفها تعليم اللغة العربية

ومن ذلك مثلاً الجامعة المصرية الكازاخية التي أنشئت في كازاخستان بتمويل مصري كامل ويقوم بالعمل فيها أساتذة مصريين وتقوم الجامعة بتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية. وهناك تم إنشاء مؤسسات ومراكز في روسيا الاتحادية وهدفها – تعليم اللغة العربية وأنشئت في جمهورية تترستان الروسية بالتمويل السعودي الكامل ويقوم أيضاً بتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية.

وقد شهدت الاستثمارات المرصودة لتطوير تدريس اللغة العربية للأجانب نمو مطردا في العقدين الأخيرين وهو ما انعكس في زيادة وتضاعف عدد مراكز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ومعاهد اللغة العربية وكذا مضاعفة عدد الأساتذة الموفدين للتدريس بالخارج وعدد الطلاب الدارسين. وكما يعد مركز الأزهر لتعليم اللغة العربية الفصحى والذي تأسس بتمويل مصري إماراتي بجامعة الأزهر بجمهورية مصر العربية – يعد من أهم مراكز تعليم اللغة العربية حيث يوفر المركز إمكانات متميزة وأفضل العناصر من الهيئات التدريسية المؤهلة والخبراء المؤهلين لتنفيذ وتطبيق احدث المناهج والتقنيات التعليمية ألحديثة. ويهدف من ذلك إلى تمكين الدارسين من اللغة العربية استماعا وتحدثا وقراءة وكتابة بالمستوى الذي يؤهلهم فيما بعد للدراسة بالأزهر الشريف ولاستعمال اللغة العربية في شتى مجالات النشاط الإنساني. والمركز كنموذج راقي لغيره من المراكز المماثلة يهدف إلى تقديم الخدمة للطلاب والباحثين وأعضاء البعثات الدبلوماسية والمدرسين داخل مصر وخارجها حيث يتم افتتاح فروع له بالخارج ويتضاعف حجم التمويل والاستثمارات المرصود له سنويا وعام تلو الآخر. وقد ساهم المركز حتى الآن في تخريج أكثر من 2000 طالب وطالبة من مختلف بلدان العالم وأهمها أفغانستان وألبانيا وبنجلاديش والصين والهند واندونيسيا وغيرها. وعلى مستوى الأقسام الأكاديمية انتشرت في الآونه الأخيرة أقسام للغة العربية لغير الناطقين بها في مختلف الجامعات والكليات المصرية ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قسم اللغة العربية لغير الناطقين بها بكلية الألسن جامعة عين شمس بجمهورية مصر العربية. وقد لوحظ أن الجامعات المصرية ترصد ميزانيات مهمة للتوسع في هذا الاتجاه في الآونة الأخيرة. وقد أنشئ هذا القسم في عام 1991م واستقبل مئات الطلاب من مختلف البلدان وخاصة الوافدين من الدول الإسلامية المستقلة حديثا عن الاتحاد السوفيتي وكذا الجمهوريات الإسلامية في روسيا الاتحادية.

ويمتاز قسم اللغة العربية بكلية الألسن بمناهجه التي تختلف عن كليات الآداب ودار العلوم ويحقق الإجادة في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. ويقوم القسم بإعداد المناهج الخاصة به التي تستهدف صحة النطق وسلامة الفهم والإحاطة المعمقة بمصادر اللغة والأدب والاهتمام بالكتابة والتحرير ودراسة النصوص التراثية المختارة وكذلك النصوص الحديثة في جميع فروع الدراسات. وتستمر الدراسة الكلية أربع سنوات يحصل بعدها الطالب على درجة ليسانس الألسن ويستطيع أن يستكمل دراسته للماجستير والدكتوراه إذا رغب في ذلك. وهناك أقسام مماثلة في عدد كبير من الجامعات المصرية الأخرى تتبع كليات الآداب وكذلك في جامعة الأزهر الشريف وفروعها المختلفة.

وعلى مستوى المعاهد المستقلة التي تعنى بتدريس اللغة العربية لغير الناطقين قطعت المملكة العربية السعودية شوطا هائلا في هذا المجال حيث قامت بإنشاء معاهد ومؤسسات علمية كاملة لخدمة هذا الهدف ومثال ذلك معهد اللغة العربية لغير الناطقين بها جامعة الملك سعود. وفي هذا الإطار تخصص استثمارات ضخمة وهائلة تنفق وتحقق نتائج ملموسة.

وهناك مسار آخر يتمثل في إبتعاث وإيفاد أساتذة ومعلمين للغة العربية في جامعات أجنبية حيث يتم إيفادهم إلى البلدان الأجنبية للتدريس لفترات تتراوح ين 4-5 سنوات متتالية. وفي مصر يقوم بهذا الدور صندوق الدعم الفتى لدول الكومنولث والدول الإسلامية المستقلة حديثو والدول الإفريقية وهو صندوق تابع لوزارة الخارجية المصرية. ويقوم بإيفاد الأساتذة إلى دول كأرمينيا وأذربيجان وجورجيا وأوزبكستان وتركمنستان والبوسنة والهرسك ومقدونيا ومنغوليا وأفغانستان وتتارستان. ويقوم الصندوق بتنظيم الدورات في اللغة العربة بالقاهرة. ويتحمل الصندوق كافة النفقات والمصروفات سواء في استضافة الدارسين أثناء تنظيم هذه الدورات أو في إيفاد الأساتذة. وقد تأسس الصندوق في عام 1993 م وقام بتنظيم أكثر من 1300 دوره شارك فيها أكثر من 30 ألف متدرب وبلغ عدد الاساتذه الذين أوفدهم الصندوق للعمل في

اليدان المذكورة إلى أكثر من 40 أستاذا. ويدرس اللغة العربية حاليا في مصر أكثر من 100 طالب على نفقة الصندوق. كما يقوم الصندوق بتقديم الدعم الفني والمالي للجامعات الأجنبية في تجهيز معامل أقسام اللغة العربية وإمدادها بالأجهزة الحديثة اللازمة الحاسوب وإرسال الكتب والمراجع والوثائق القومية لأقسام اللغة العربية بالجامعات والمراكز الثقافية بها والمكتبات وكذالك مواد فيلمية تعبر عن المجتمع المصري والتاريخ الإسلامي.

دعونا ننظر الى المزيد حول دور اللغة العربية اليوم في روسيا. اللغة العربية هي بلا شك مهمة بالنسبة للروس. روسيا هي موطن لعدد كبير من المسلمين. في آخر إحصاء روسيا هي موطن ل25 مليون شخص مسلم، واللغة العربية لمسلمي روسيا – هي لغة القرآن ولغة نبينا (صلى الله عليه وسلم). اليوم المسلم الحقيقي في روسيا يسعى إلى معرفة اللغة العربية على الأقل. إذا ننتقل إلى التاريخ، روسيا دعمت دائما اللغة العربية ويرجع تاريخ الدراسات الروسية في علم اللغة العربية الى ما يقرب من ثلاثة قرون، ويعود تاريخها إلى عهد القيصر الروسي – بطرس الأول عندما بدأ الدبلوماسي الروسي بيتر بوستنيكوف قيام بأول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الروسية وعندما أنشأ الشاعر الروسي الشهير والساخر والدبلوماسي أنطيوخس كنتيمير أول المطبعة مع الحروف العربية (2) . تأسس في عام 1817 "المتحف العربي"، وتحول إلى معهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم الروسية في سانت بطرسبرغ. وفي عام 1854 نظم في كلية اللغات الشرقية بجامعة سانت بطرسبرغ قسم اللغة العربية، وظهرت في عام 1872 مركز لدراسة اللغة العربية في موسكو – معهد اللغات الشرقية باسم لازاريف .بدأت مرحلة جديدة في تطوير العلاقات الروسية مع الدول العربية إلى العهد السوفيتي، عندما أصبح الشرق الأوسط راسخا في نطاق المصالح الجيوسياسية للاتحاد السوفيتي. وكان خلال هذه الفترة يتم تعيين في العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية على مستوى الدولة التي لا تزال ولم تفقد أهميتها وتحدد إلى حد كبير دور روسيا في المنطقة. وكان هذا العصر – عصر ذروة الدراسات العربية في روسيا. واليوم لا ينعكس بشدة الأحداث الثورية من "الربيع العربي" على العلاقات الدبلوماسية والتجارية. واليوم تواصل روسيا للحفاظ على هذه العلاقات مع الدول العربية، من الضروري جدا اللغة العربية للمترجمين وللمهنيين الروس الذين يعملون في الدول العربية. والكثير من الروس يسافرون إلى الدول العربية لإجراء أعمالهم التجارية الخ... وعلى الرغم من تجمد هذه العلاقات لبعض الوقت، الا انها عادت لتشهد تطورا متناميا في الفترة الاخيرة وبالتالي اصبحت اللغة العربية مثار اهتمام في روسيا ليس فقط للمسلمين.

في العهد السوفيتي، كان هناك 5 مؤسسات التعليم العالي فقط حيث كان يدرس اللغة العربية. كانت استثمرت في اللغة العربية آنذاك المؤسسات الكبيرة السوفيتية مثلاً كجامعة موسكو الحكومية وجامعة سانت بطرسبرغ الحكومية وجامعة طشقند الحكومية في جمهورية أوزبكستان وجامعة باكو الحكومية في جمهورية أذربيجان وجامعة ألما آتي الحكومية في جمهورية كازاخستان. مؤسسات تعليم اللغة العربية آنذاك حيث كان يدرس اللغة العربية كان هناك القليل جدا نسبة لهذه الدولة الضخمة مثل الاتحاد السوفيتي. بعد "البيريسترويكا" ظهرت في روسيا كثير من المؤسسات التعليمية الدينية وليس فقط الدينية بل العلمانية. وحتى العديد من المؤسسات التعليمية العلمانية التي لم يكن عندها تدريس اللغة العربية سابقاً، وبدأت إدخال في برامج التدريس الخاصة بها. ويوجد عدد كبير من المسلمين (على سبيل المثال في داغستان والشيشان وتتارستان) العديد من المعلمين يعرفون اللغة العربية جيدا، حيث أن العديد منهم قد درسوا اللغة العربية في الدول العربية. ويرتبط هذا الاهتمام المتزايد باللغة العربية أيضا مع إحياء قوي للثقافة الإسلامية في مناطق روسيا.

اليوم روسيا الاتحادية تستثمر في الكثير من المؤسسات التعليمية الدينية والعلمانية، حيث يتم تدريس اللغة العربية. في جميع المناطق الروسية حيث السكان مسلمون، وهناك المؤسسات التعليمية الدينية، حيث يتم تعليم الراغبين اللغة العربية. تاريخ طويل لانتشار الإسلام في روسيا، والذي يتم تمريره بشكل رئيسي عبر أراضي داغستان، يرافقه إنشاء مراكز التعليم الإسلامي، وكانت وحدات رئيسية – المدارس الدينية في المساجد.

ارتفاع حاد وإحياء جميع جوانب الحياة الدينية لمسلمي روسيا بعد التغييرات الديمقراطية فيها منذ "البيريسترويكا." أشار مفتي روسيا راويل غين الدين في كتابِه "الإسلامَ في روسيا" – " إلى أن كثيراً من الجماعات الإسلامية نصف النظامية صارت تعمل على أرضية قانونية، ولوحظت زيادة عدد الجمعيات الإسلامية. ينشط اليوم في روسيا الاتحادية أكثر من أربعة ألاف مسجدِ (3). كان عدد المساجد في روسيا فى السنة 1986 م – 189 مسجداً فقط. تنشط اليوم في روسيا أكثر من 40 مؤسسة إسلامية تعليمية متوسطة وعالية. يوجد فى روسيا أكثر من 20 صحيفة ومجلة إسلامية. يقوم سنوياً عدة آلاف من المواطنين الروس بالحجَّ إلى مهبط الوحى فى مكة المكرمة، ويقومون خلال زيارتهم إلى المملكة العربية السعودية بزيارة مدينة رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

اليوم يتم احياء التقاليد القديمة للتربية الإسلامية، والتي كانت في شمال القوقاز بشكل عام وفي داغستان، على وجه الخصوص.

تعنى كلمة داغستان في اللغة التركية – "بلاد الجبال" وهى أكبر الجمهوريات فى شمال القوقاز، عدد سكانها حوالي 2 مليون شخص ومساحتها (50.3 ألف كم ^{2}). تتميز هذه الجمهورية بكثرة قومياتها، لا يوجد في داغستان قومية رئيسة، بل تعتبر كل القوميات وعددها 33 أساسية. ينحدر اهالى داغستان من قومية – أوار (و تبلغ نسبتها حوالى 28 % من كل سكان الجمهورية) وقومية – دارغين (% 16.3)، قومية لازغي (% 12.2)، قومية لاكى (4.9 %)، قومية تبسّران (4.6%)، قومية رتول (0.8%)، قومية أغول (0.8%) إلخ. يعيش إلى جانب السكان الأصليين في جمهوريةِ داغستان – الروس (6.5 %) والشيشان (4.5 %) والأزربيجان (4.5%) وقوميات أخرى. كانت هذه القوميات المعزولة فى داغستان في القرون الوسطى تتواصل مع بعضها البعض بإستخدام اللغات – المحلية لغة القوموق، والدولية مثل اللغة العربية التي كانت لغة العلماء غالبا. يتواصل حالياً سكان داغستان مع بعضهم بواسطة اللغة الروسية فقط.

لُفظت اللغة العربية لأول مرة على أرض داغستان منذ 1400 سنة. كانت مدينة دربند (تسمى باللغة العربية — باب الأبواب) من أكبر المدن في ذلك الوقت وكانت هذه المدينة بوابة الدخول إلى مملكة داغستان وكانت في بِداية القرن الثامن الميلادي جزءاً من الخلافة العربية. لعب انضواء جزء من الأراضي الداغستانية فيما بعد تحت لواء الخلافة العربية، والاستقرار السياسي الداخلي فى الولايات الداغستانية، ومن ثم دخولها فى مدار الحياة الاقتصادية والتجارية والثقافية للخلافة، دوراً هاماً فى تطور كل مناحي الحياة. يلعب موقع داغستان على الطريق البحري والتجاري والبريِ الذي كان يصل جنوب شرق أوروبا مَع القوقاز والشرق الأدنى دوراً فى هذا الأمر. يقول المؤرخون أنه أثناء الحروب المختلفة في القرون الوسطى سلك "طريق الحرير" أحياناً طرقاً ملتوية بدلا عن الطريق التقليدي. كان يمر هذا الطريق البديل، حسب بعض المؤرخين عبر دربند. أشارت المصادر التاريخية المتعددة إلى أن مدينة دربند قد وصلت فى تلك الفترة إلى مستوى مدن الخلافة الكبرى من النواحي التجارية والمهنية والثقافية والزراعية ومن ناحية التأثير على المناطق المجاورة. احتفلت مدينة دربند منذ مدة بمرور 2000 سنة على تشييدها. تعتبر هذه المدينة أحد المراكز الهامة فى شمال القوقاز لنشر الإسلام واللغة العربية وآدابها. تشير المصادر التاريخية أن دخول الإسلام إلى داغستان بدأ مع قدوم العرب وإقامتهم فيها. من الضروري أن نشير هنا إلى أن كل حكام داغستان المحليين بقوا فى مناصبهم (4). يعود أصل حكام داغستان الإقطاعيين لأسلاف سلالات "شمخال" و"مايسوم" و"أوثمى"، اللذين ينحدرون من سلالة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). ويستند علم الأنساب على هذه النظرية. ولا يؤيد العلماء كثيراً هذه النظرية، وعلى أية حال من المستحيل إنكار حقيقة وجود العاصمة السابقة التي بقيت حتى الآن، وهى عاصمة إمارة قايتاغ الداغستانية، وإسمها "قلعة قريش"، التي أنشأت من قبل بعض العرب من قبيلة قريش. تؤكد وجود هذه النظرية المصادر التاريخية وخاصّة المدونات التاريخية الداغستانية، بجانب – "تأريخ داغستان" الذي كتبه محمد رافى في القرن الرّابع عشر حيث يتحدّث فيه عن العرب الذين وصلوا إلى داغستان بعد العام 200 هجري. يقول المصدر "جلس أمير شوفان (أمير تشوبان) وهو من سلالة النبي على عرش غزانفار بكل فخر وهو كان أول حاكم يحكم ولاية خيداق وقد بَنى في خيداق عدداً كبيراً من القرى و المساكن وإختار مدينة قلعة قريش التي تقع على صخرة ضخمة فوق الثغر إلى جانب النهر مقراً له"(5) . كانت دولة قلعة قريش إحدى

المراكز الإيديولوجية والسياسية القديمة لولاية خايداق. وبقيت كعاصمة لهذه المملكة الكبيرة إلى القرن السادس عشر عندما صارت مدينة مجالس عاصمة للمحافظة.

عاش العرب فى تجمعات متراصة، مما حافظ على الشكل العرقى لتجمعاتهم. علّم العرب السكانَ المحليين اللغة العربية وقراءة القرآن. وفتحوا في كل مكان في داغستان المدارس التي علموا فيها أيضا اللغة العربية وقراءة القرآن. لا يوجد خلاف على تأثير القرآنِ فى تطور الأدب العربي. يقول كتاب "المخطوطة العربية فى داغستان" أن "اللغة العربية والإسلام والأدب الإسلامي – كانت ثلاثة عوامل مهمة فى قوة وأصالة الحياة الثقافية في العالم الإسلامي وفي داغستان"(6). لعبت داغستان دوراً هاماً فى إنتشار ثقافة المخطوطة العربية ضمن حدود الخلافة العربية، كما لعبت دوراً هاماً فى العلاقات التجارية والاقتصادية والثقافية مع بلدان الشرق الأوسط والأدنى.

وتجدر الإشارة إلى انه في الحقبة السوفيتية نفى الحزب الحاكم الشيوعي وجود تراث مكتوب باللغة العربية كما هو الحال في مناطق مسلمي روسيا بصفة عامة، وعلى وجه الخصوص في داغستان. وأكد أن السلطة السوفيتية هي التي منحت الشعوب في داغستان ثقافة الكتابة ونفى الحزب وجود اى تراث داغستاني مكتوب باللغة العربية. وينقسم الأدب الداغستاني متعدد القوميات والمكتوب باللغتين العربية والأعجمية إلى (مدونات تاريخية وقواميس وكتب دينية تعليمية وخطب إسلامية ومذكرات). وقد بقيت العلاقة سلبية تجاه كل ما هو مكتوب بالعربية إلى ان قام المستشرق الداغستاني م. سيدوف بكتابة بحثه في عام 1960 م "الأدب الداغستاني باللغة العربية في القرنين 18-19". حيث تم عرض الأدب الداغستاني المكتوب باللغة العربية على اتساع موضوعاته وتنوعه (الفقه – الشعر – الصرف – النحو – الطب – الرياضيات والفلك) امام علماء العالم وتناول المستشرق اعمال أكثر من مئة أديب داغستاني حيث جمع مؤلفاتهم وقام بتصنيفها ودراستها. ويرجع الفضل له في تنظيم رحلات الاستكشاف العلمي في مناطق داغستان بغرض البحث عن المخطوطات. وقد أتت هذه الرحلات بثمارها حيث يحتوى مركز المخطوطات الشرقية في داغستان على أكثر من 3000 مخطوطة تعود أقدمها إلى القرن الثاني عشر. كما تم جمع أكثر من 6000 وثيقة ورسالة تعود لعلماء داغستانيين ويتحدث عن التراث القانوني والمراسلات بين الحكام الإقطاعيين والمجتمعات الريفية. وقد تم نشر مجمل جهود هذا العالم مع علماء مركز داغستان للاستشراق في كتاب صدر في 1977 م في موسكو عن دار النشر "العلم" تحت عنوان "كتالوج المخطوطات الشرقية". وعرف العلماء في العالم بفضل هذا الكتاب عن وجود أقدم وأندر المخطوطات الشرقية في العاصمة الداغستانية – محج قلعة وقد حصل هذا الإصدار على تقدير الأوساط الاجتماعية السوفيتية التي قامت بمنح المؤلف ميدالية ذهبية في معرض المنجزات الوطنية. ان التعرف على مجموعة المخطوطات في داغستان يؤكد ان هناك المزيد منها وإنها انتشرت على نطاق أوسع مما هو متصور حاليا.

اليوم يتم احياء التقاليد القديمة للتربية الإسلامية كما قلنا سابقاً كما ان الجامعات الإسلامية في روسيا تحاول التركيز ليس فقط على تدريب القادة الدينيين، ولكن على إعداد، بما في ذلك المثقفين الاقتصاديين والمحامين وعلماء الدين واللغويين والصحفيين. إعداد القادة الدينية والمثقفين المسلمين هو المهمة الاساسية. يعتقد البعض أنه من الممكن أن تتخصص في تدريب القادة الدينيين فقط. ولكن لكي يعمل جامعة كجامعة كاملة، وبالتأكيد، فإنه من الضروري تدريب المهنيين في مختلف المجالات، والحفاظ على خلاف ذلك على مستوى عال وحالة الجامعة يكاد يكون من المستحيل. لذلك، من جهة، وإعداد المثقفين المسلمين – هي حاجة المجتمع، وعلى الجانب الآخر، بل هو حافز للجامعة الحفاظ على مستواها مقارنة بالمؤسسات التعليمية العلمانية الأخرى.

توسيع تأثير الإسلام وانتشارها في جميع مجالات المجتمع الداغستاني ككل ولكل مجتمع على حدة تسبب انتشار واسع وتطوير التعليم الديني في داغستان. اليوم أكبر المؤسسات التعليمية الدينية في داغستان التي لا تزال تقاليدها في الاستثمار في اللغة العربية والتربية الدينية هي

الجامعة الإسلامية لشمال القوقاز باسم محمد عارف والجامعة الإسلامية باسم الإمام الشافعي ومعهد علم الدين والعلاقات الدولية بإسم مما ديبير الروتشي. انها تقع جميعا في مدينة محج قلعة. تم افتتاح الجامعة الإسلامية باسم مؤسس مذهب السنة الإمام محمد الشافعي (7) في عام 1991 على أساس المدرسة الدينية. جميع المعلمين هم داغستانيون، على الرغم حتى عام 1998 عمل هناك المدرسون من العراق والأردن وسوريا ومصر والجزائر. عدد الطلاب المسجلين في هذه الجامعة الإسلامية هو – 250، ثلثهم من الفتيات. الجامعة تدرب الكوادر في مجال العلوم الاسلامية ومدرسي العلوم الإنسانية والأئمة في المسجد. ويجري التدريس باللغتين العربية والروسية. لديها 21 فرعا في مختلف المدن والقرى في داغستان حيث يتعلم 980 طالب وطالبة. تعتمد وجود الجامعة على التبرعات الطوعية من الأفراد. جزء من العائدات الواردة في شكل ايجارات عدة غرف، حيث توجد المتاجر والمقاهي. لا تمتلك الجامعة مساكن، ولكن لديها مبناها الخاص، الذي خصصته لها الحكومة الداغستانية. المناهج الجامعية وضعت من قبل مجلس العلماء وتمت الموافقة من مدير الجامعة. يدرس الطلاب المقررات التالية:

1. القرآن الكريم
2. اللغة العربية
3. الفقه
4. الحديث
5. السير
6. عقيدة
7. التجويد
8. التفسير
9. التصوف

يتم تدريس المناهج الدراسية جنبا الى جنب مع المقررات العلمانية في الجامعة الإسلامية باسم الإمام الشافعي – وهي ظاهرة نموذجية من غالبية الجامعات الإسلامية في داغستان. كثير من الجامعات تريد أن تقدم المواد والمقررات العلمانية، ولكن لا تستطيع ان تفعل ذلك لأسباب واضحة – ليس هناك تمويل. دراسة في الجامعة هو سبع سنوات وهي مجانا. أولئك الذين يرغبون الدراسة فيها يتم إجراء مقابلات معهم ثم يلتحقون بالدورات التحضيرية لمدة سنتين في المدارس الدينية. في نهاية المدارس هم يلتحقون إلى الجامعة إلى المستوى الأول. وتعقد الدروس في مدينة محج قلعة في فترتين. وفى المستوى 9 و 10 الطلاب لديهم الممارسة الدراسية ويعملون كمساعدي الأئمة في مساجد المناطق المختلفة لداغستان. بالإضافة إلى ذلك، طلاب المستويات العليا يطبقون معرفتهم عمليا، ويقومون بقراءة القرآن الكريم ويشاركون في المولد، وهم يقومون بالتدريب الشخصي في مجال قواعد الاسلام واللغة العربية للراغبين في منزلهم. الطلاب عند التخرج يحصلون دبلوم في تخصص "خادم العبادة الإسلامية."

جامعة شمال القوقاز الإسلامية باسم محمد عارف (8) منذ عام 2004 أدخل إلى عملية التدريس المقررات العلمانية التالية:

1. اللغة الروسية
2. العلوم الاجتماعية
3. العلوم السياسية
4. علم الحقوق
5. التربية الاجتماعية

6. اللغة الإنجليزية
7. المعلوماتية
8. جغرافيا الدول العربية،
9. علم النفس
10. تاريخ داغستان وغيرها

ولهذا الغرض تم دعوة المدرسين من جامعة داغستان الحكومية وغيرها من الجامعات العلمانية – لذا قد تم تأسيس قسم العلوم الإنسانية. تنظم العملية التعليمية في غرف مع قاعات المحاضرات للدروس التطبيقية، وهناك قاعة المطالعة، قاعة، القاعة للألعاب الرياضية، ومختبر الكمبيوتر. الجامعة ليس لديها موقعها، ولكن يستخدم الطلاب بنشاط موقع الإدارة الروحية لمسلمي داغستان. توفر الإدارة الروحية لمسلمي داغستان كل المناهج الدراسية الأساسية والأدب التعليمي والكتيبات للطلاب. يتألف البرنامج المنهجي من طرف الإدارة الروحية لمسلمي داغستان ووافقت عليه من طرف مجلس العلماء للإدارة الروحية لمسلمي داغستان. الطلاب وفقا لبرنامجها في القسم التحضيري (خلا سنتين) يدرسون المقررات التالية:

1. أسس الإسلام والصرف.
2. اللغة العربية.
3. النحو
4. علم الأخلاق.
5. سيرة النبي (صلى الله وعليه وسلم).
6. قواعد قراءة القرآن الكريم.
7. الخط العربي.
8. تحفيظ القرآن الكريم.
9. اللغة الروسية.

يدرس طلاب الجامعة جميع المستويات (من 1 حتى 10) المقررات التالية:

1. النحو.
2. الصرف.
3. الفقه.
4. علم الأخلاق والتصوف.
5. سيرة النبي.
6. تحفيظ القرآن الكريم.
7. اللغة الروسية
8. المعلوماتية
9. العقيدة.

10. التصوف.
11. المنطق.
12. فن الخطابة.
13. علم تحديد وقت التقويم القمري.
14. اللغة الروسية وثقافة الكلام.
15. اللغة الإنجليزية.
16. تاريخ داغستان.
17. الحديث.
18. علوم القرآن.
19. جغرافيا الدول العربية.
20. علم الحقوق.
21. التربية الاجتماعية.
22. تفسير القرآن الكريم.
23. أسس الشريعة الإسلامية.
24. البلاغة.
25. علم الاجتماع.
26. علم الفلك.
27. تاريخ الشريعة الإسلامية.
28. التصوف في داغستان.
29. علم السياسة.
30. طرق تدريس اللغة العربية في المدرسة.

جامعة شمال القوقاز الإسلامية بإسم محمد عارف هي اليوم رائدة في إدخال الابتكارات في عملية التعلم (هذا – المقررات العلمانية، واللغات الأجنبية، واستخدام الحاسبات في عمليات التعليم وأساليب التدريس الحديثة). برنامجها التدريبي هو أكثر مناسبة لمستوى وزارة التربية والتعليم في روسيا الاتحادية.

معهد علوم الدين والعلاقات الدولية باسم مماديبير الروتشي (9) يقوم بتحضير المتخصصين في المجالات والإتجاهات في علم الدين، واللسانيات والصحافة والاقتصاد وعلوم الكمبيوتر، والعلاقات الدولية. ميزة هامة لإدارة هذا المعهد هي الدعم الروحي في العملية التعليمية. الهدف من تدريس المقررات الدينية في المعهد – هو غرس القيم الروحية والأخلاق الإنسانية، شرح للطلاب الخباثة والضرر الناجم عن التطرف والإرهاب، وأهمية تعزيز الروح الوطنية والتسامح وحسن الجوار.

تجري كل الجامعات الإسلامية الروسية أولمبياد اللغة العربية، حيث يتم تقسيم جميع المشاركين إلى 4 مستويات، وهذا إعتماداً على مرحلة تعلم اللغة:

1. السنة الأولى
2. السنة الثانية

3. السنة الثالثة
4. أعلى مستوى

يحتوي أولمبياد اللغة العربية من المهمة المقسمة إلى عدة أنواع:

- الاستماع (الاستماع إلى النص والإجابة على الأسئلة)
- الحديث (محادثة حول موضوع معين)
- الصرف (ممارسة)
- بناء الجملة (ممارسة)
- قراءة (قراءة النص والإجابة على الأسئلة)
- الإملاء

على الرغم من توفر الفرص للتعليم الديني داخل البلاد، إلا أن كثير من الشباب الداغستاني لأسباب مختلفة كانوا يفضلون التعليم الديني في الخارج. تجدر الإشارة إلى أنه في التسعينات، عندما وصلت إحياء الإسلام في داغستان إلى ذروتها، غادر عدة مئات من فتيان وفتيات داغستان للدراسة إلى الجامعات الإسلامية في الدول العربية – مصر والسعودية والكويت وليبيا والعراق وقطر والأردن وسوريا وتونس، وكذلك تركيا وإيران والسودان وماليزيا وباكستان. كان من الأسباب الأساسية لترك الطلاب وطنهم هو عدم القدرة على الحصول على مهارات حوارية والكلام العربية في داغستان. إلى حد ما، كان يجد حل هذه المشكلة عند تدريس اللغة العربية في الجامعات الإسلامية من طرف مدرسي العرب. آنذاك الطلاب لديهم كانت المستويات العالية في إتقان المفردات، وكان يمتلكون الكلام التحادثية في درجة جيدة.

ومن أكبر المؤسسات التعليمية العلمانية العالية في جمهورية داغستان التى تقوم بتدريس اللغات الشرقية – جامعة داغستان الحكومية (10) وجامعة داغستان الحكومية التربوية (11). افتتحت في عام 2001 في جامعة داغستان الحكومية كلية الدراسات الشرقية – وهي كلية فريدة من نوعها في شمال القوقاز (12). وتم اعداد فريق من أعضاء هيئة التدريس بالكلية خلال مدة قصيرة ويتميز بمستواه العالي ويحتل مكانا مستحقا في البيئة التعليمية لجامعة داغستان الحكومية. المحتملة العالية لأعضاء هيئة التدريس في المجال العلمي والتدري سي تسمح لهم لتزويد الطلاب بأحدث المعارف لمهنتهم في المستقبل. تتم في الكلية العملية التعليمية في تدريس اللغات الشرقية (العربية والتركية والفارسية) بثلاثة أقسام وهي: قسم اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة الفارسية والتركية وآدابهما وقسم تاريخ بلدان آسيا وأفريقيا. وتوجد وحدات هيكلية تابعة للكلية ومنها : معهد الدراسات في علوم القرآن الكريم ومركز بحوث المخطوطات العربية ومركز الدراسات الإيرانية ومركز اللغة التركية والثقافة ومركز دراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية والتي تسمح بتنسيق الجهود البحثية للمدرسين والطلاب.

نوعية وجودة تدريب الطلاب هي – الهدف الرئيسي للكلية. تدريس الطلاب في الكلية يستند على معايير الدولة المعتمدة من المراكز التعليمية المتقدمة في روسيا ويقام بهذا التدريس مع الجمع بالسلاسة بين التدريب النظري والعملي. لهذا الغرض يتم كل شهر إجراء اختبارات المعارف للطلاب. وفي الكلية تقام لأعضاء هيئة التدريس والطلاب المؤتمرات العلمية السنوية. وهناك في الكلية اهتمام كبير لإشراك الطلاب في البحوث العلمية ومن أمثلته – مشاركة الطلاب السنوية في رحلات الاستكشاف العلمي في مناطق داغستان بغرض البحث عن المخطوطات.

وتصدر مجموعة الورقات العلمية لطلاب كلية الدراسات الشرقية. تستخدم على نطاق واسع بواسطة التكنولوجيات الجديدة للمعلومات في مجال التدريس. شبكة محلية واسعة النطاق في الجامعة مع إمكانية الوصول إلى الإنترنت توفر الوصول إلى أحدث المعلومات عن الإنجازات التي تحققت في مختلف مجالات العلوم والتعليم. في عملية التعلم يستخدم الطلاب برامج الحاسب الآلي الحديثة وقرص مدمج متعدد الوسائط (multimedia) لمساعدتهم على تعلم المادة المدروسة (المرئية والمسموعة) في المعمل.

إستجابةً لتحديات عصرنا تُطوِّر كلية الدراسات الشرقية بنشاط العلاقات مع المؤسسات التعليمية المتقدمة في روسيا: معهد بلدان آسيا وأفريقيا تابع لجامعة موسكو الحكومية ومعهد الدراسات الشرقية تابع لأكاديمية العلوم الروسية ومعهد التاريخ والآثار والاثنوغرافيا للمركز العلمي الداغستاني المتفرع عن أكاديمية العلوم الروسية وفي نفس الوقت تتعاون الكلية بشكل وثيق مع مركز القوقاز وآسيا الوسطى في معهد بلدان آسيا وأفريقيا تابع لجامعة موسكو الحكومية. في إطار تطوير العلاقات الدولية يأخذ الطلاب الدورات السنوية لتطوير مهاراتهم في اللغات المدروسة – في جامعة الفاتح وجامعة إيرتشي إيس (تركيا) وجامعة جيلان (ايران). ولكن مع الأسف الشديد المستعربون لا يملكون حتى الآن القدرة على قيام بالتدريب اللغوي خارج داغستان. يمكن لخريجي الكلية تطبيق معارفهم ومهاراتهم في نظام التعليم العالي والثانوي والمؤسسات العامة ووسائل الإعلام وفي دور النشر ومعاهد أكاديمية العلوم. تُظهر المؤسسات الاقتصادية المختلفة المزيد من الاهتمام في جذب خريجي الكلية للعمل بما في ذلك المؤسسات الأجنبية.

إفتتاح كلية الدراسات الشرقية (2001) ومركز دراسة اللغة العربية والثقافة الاسلامية (في عام 2011) (13) في جامعة داغستان الحكومية – هو الاستثمار الهام والرئيسي في تعليم اللغة العربية في داغستان. وفيما يخص مركز دراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية وسنتحدث تفصيلا بعض الشيء عنه. تشهد الظروف المعاصرة تناميا وتزايدا في الحاجة إلى المعرفة العلمية القادرة على تقييم الموقف والنهج الجديد والمبتكر في حل المشاكل الملحة. وهناك الان قضية ملحة في تربية السكان الروحية وعدم الكفاءة والجهل في هذه المسألة يؤدي اليوم إلى نتائج معينة. ان دراسة قضايا الثقافة العربية من خلال التحليل العميق والتفكير النقدي في تاريخ حضارة جمهورية داغستان ودراسة التغيرات الاجتماعية والثقافية اليوم في البلد توفر لنا التوقعات والاستراتيجيات الضرورية في مجال التنمية الثقافية والاجتماعية للمجتمع الداغستاني. وسيسهم مركز دراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية بشكل كبير في حل هذه المشكلة.

وسيقوم هذا المركز بتنسيق البحوث الأساسية في اللغة العربية والأدب والتراث الثقافي في داغستان ومشاكل الثقافة العربية الحديثة وإدخال نتائجها فى العملية التعليمية. وبهدف تحقيق التكامل بين العلم والتعليم ينوي مركز دراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالتعاون مع المؤسسات الأكاديمية تنظيم وتنفيذ مشاريع البحوث العلمية والمؤتمرات العلمية والحلقات الدراسية حول القضايا الأهمية في اللغة العربية وآدابها والثقافة الإسلامية ؛

الأهداف الرئيسية للمركز في المجال العلمي على النحو التالي :

–تشكيل فريق من المتخصصين في دراسة اللغة العربية والأدب العربي والثقافة العربية من أجل تطوير أساليب فعالة وبرامج جديدة في التعليم الديني (الروحي) للمواطنين .

–المشاركة في وضع البرامج التدريبية وابتعاث أعضاء هيئة التدريس وطلاب الدكتوراه والعلماء الشباب وطلاب الدراسات العليا إلى مراكز البحوث المتقدمة في كل من روسيا وخارجها .

-تنظيم البحث العلمي الطلابي ومشاركتهم في البحوت التي يجريها مركز اللغة العربية بالتعاون مع مشرف دائرة الطلاب، وتنسيق أعمالهم.

المهام في المجال التعليمي كما يلي- :

-إدراج نتائج البحوث والمشاريع العلمية في اللسانيات والنقد الأدبي في العقود الأخيرة ضمن العملية الدراسية، وكذا برامج الكمبيوتر التدريبية والتعليمة.

-المساعدة والمشاركة في اعداد الكتب الدراسية والبرامج والمواد التعليمية في اللغة العربية والأدب والثقافة بالمدارس والجامعات.

-المساعدة في تأمين الكتب والمطبوعات الدورية والعلمية الجديدة ومناهج فقة اللغة العربية والأدب والثقافة المنشورة في داخل روسيا وخارجها للاساتذة والطلاب .

-تقديم العون لعمادة كلية الدراسات الشرقية في إدراج درجة البكالوريوس والماجستير في تخصص "اللغات والآداب في بلدان آسيا وأفريقيا".

سيقوم مركز دراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية بفعاليات ابتكارية بالتعاون مع المؤسسات المختلفة التابعة لجامعة داغستان وكذلك مع الجمعيات والمؤسسات العلمية والتعليمية في مدينة محج قلعة و يشمل ذلك الأشكال الآتية من النشاط ألابتكاري:

- تعليم اللغة العربية للراغبين في الالتحاق بالدراسة العليا .
- الترجمة التحريرية (المعتمدة) للوثائق من اللغة العربية إلى الروسية (وكذلك من اللغتين - الأذربيجانية والأوزبكية).
- وصف للمكتبات الخاصة والمجموعات التي تتألف من المخطوطات العربية القديمة.
- بالتعاون مع كلية رفع المهارات لمدرسي الجامعة تنظيم دورات تدريبية مهنية في تعليم اللغة العربية للمتخصصين من مناطق القوقاز الشمالية ذوي التعليم العالي (في مجال العلوم الإنسانية).

يخطط مركز دراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية لإعداد وتنفيذ المشاريع المشتركة بالتعاون مع المؤسسات الأكاديمية والتعليمية المختلفة. وشركاء المركز في عمله العلمي وهي- معهد بلدان آسيا وإفريقيا بجامعة موسكو الحكومية ومعهد الدراسات الشرقية تابع لأكاديمية العلوم الروسية ومعهد موسكو الحكومي للعلاقات الدولية ومعهد دراسات الأدب العالمي التابع لأكاديمية العلوم الروسية وكلية الدراسات الشرقية بجامعة سانت بطرسبرغ ومعهد الثقافات الشرقية التابع لجامعة دراسة العلوم الإنسانية الحكومية ومعهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة قازان الحكومية ومركز الدراسات الشرقية في المركز العلمي الداغستاني التابع لأكاديمية العلوم الروسية ومعهد اللغة والأدب والفن في المركز العلمي الداغستاني التابع لأكاديمية العلوم الروسية وجامعة المعلمين والمعلمات الداغستانية.

مصادر البحث:

1. http://wordyou.ru/v-mire/google-uvelichit-kontent-na-arabskom-v-internete.html
2. http://oriental.hse.ru/arabic
3. http://www.spsl.nsc.ru/history/descr/islam.htm
4. مراد حجييف، داوودوف، أمري شيخ سعيدوف، "تأريخ داغستان منذ أقدم العصور إلى نهاية القرن الخامس عشر"، محج قلعة، 1996 ، ص – 213
5. الوقائع التاريخية الدافستانية لمحمد رافي – " تأريخ داغستان"، موسكو، 1977، ص – 108.
6. أمري شيخ سعيدوف، ن. تاغيروفا، ديانا خير الدين حجييفا – "المخطوطة العربية فى داغستان"، محج قلعة، 2001 ، ص – 9
7. http://sam5.ru/577-vyisshie-uchebnyie-zavedeniya-vuzyi/7367-islamskiy-universitet-im-imama-shafii-gou-vpo.html
8. /http://www.islamrf.ru/news/culture/legacy/1857
9. /http://itimo.ru/ru
10. http://dgu.ru/arabian.html
11. /http://dgpu.net/en
12. http://dgu.ru/english/faculties/959-facult-vostokoved.html
13. http://science.dgu.ru/centerArabic.aspx